الأهرام

المصدر :

التاريخ :

قراءة أولية في مشروع "غزة- أريحا أولا"

الجدل الدائر منطقي لأن هذا هو الحال مع المشاريع والخطوات الكبيرة في التاريخ

المدينة: مركز الدراسات والبحوث/ شعيب عبدالفتاح

اصيب الشارع العربى وليس الفلسطينى فقط بدهشة بالغة وذهول عميق اثر الاعلان الرسمى من قبل منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عن اتفاقهما على مشروع "غزة- اريحا اولا" واختلفت الاراء وتباينت المواقف حول هذا المشروع فانقسم هذا الشارع المندهش بين مؤيد ومعارض اليس هذا فحسب بل تباينت درجات التاييد كما تباينت درجات المعارضة ويمكن القول ان هذه المشاعر هى نفسها التى عاشها الشارع العربى بعد زيارة الرئيس المصرى الراحل انور السادات لتل ابيب وتصل درجة التشابه الى ان بعض المعارضين الفلسطينيين توعدوا ياسر عرفات بنفس مصير السادات!!

طبيعة المشاريع المصيرية

تعود اسباب هذه المشاعر فى الاساس الى عناصر كثيرة اهمها مصيرية المشروع نفسه فيجب الاقرار اولا ان تلك طبيعة المشاريع التاريخية والمصيرية التى تحدد مصائر الامم والشعوب بمعنى اخر انها مشاريع لا تخص القائمين عليها من ساسة وافراد فقط بل تهم حياة ومعيشة ومستقبل شعوب دول ومناطق باكملها.. ثانيا ان طبيعة المشاريع السلمية لا يمكن لها ان تحظى باجماع شعبى اى انها لا ترضى الشعوب بنسبة مئة بالمائة لان المشروع السلمى من طبيعة ارضاء الطرفين بعد تنازل كل طرف عن جزء من مطالبه وشيء من ارادته والعمل الوحيد القادر على ارضاء الشعوب بصورة جماعية هو الحرب والانتصار العسكرى الحاسم والكامل على الخصم.

وعلى هذا نجد مشروع "غزة- اريحا اولا" يتمتع بالخاصتين السابقتين اى المصيرية والسلمية فغنى عن الذكر ان نكبة فلسطين ليست نكبة الفلسطينيين وحدهم بل نكبة العرب والمسلمين جميعا، وهى قضية تلك الشعوب منذ نصف قرن من الزمان قامت فيه اكثر من ٥ حروب دامية وتشردت شعوب واحتلت اراض وانتهكت مقدسات وتوقفت مشاريع التنمية واخرها من المأسى الانسانية والبشرية التى شهدتها منطقة الشرق الاوسط طيلة هذا النصف من القرن. فمن الطبيعى ان يصاب الشارع العربى بهذا الذهول وبهذا الانقسام ايضا هو مشروع تحقق عن طريق المفاوضات اى انه لن يرضى الشعب الفلسطينى ولا الشعب الاسرائيلى بصورة جماعية لان هناك تنازلا من الطرفين وايضا مكاسب للطرفين.

عنصر المفاجأة

ومن اسباب اجتياح هذه المشاعر للشارع العربى ايضا بسبب مشروع غزة- اريحا اولا هو ان الاتفاق على المشروع جاء بصورة مباغتة ليس لرجل الشارع العادى فحسب بل لكثير ومعظم صناع السياسة العربية وايضا لاغلبية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الاعضاء الفاعلين فى منظمة التحرير الفلسطينية نفسها حيث نجحت المنظمة واسرائيل فى الحفاظ على سرية المفاوضات بينهما والتى جرت فى اوسلو عاصمة النرويج احدى البلاد الاوروبية الاسكندنافية وتحت الاشراف المباشر لوزير الخارجية النرويجى وقد استمرت هذه المفاوضات السرية تحت الصقيع الاسكندنافى ١٨ شهرا تمخضت عن ١٤ جولة اى اكثر من الجولات الثنائية العلنية التى تجرى فى واشنطن حيث حققت ١١ جولة فى ٢٢ شهرا ويمكن القول ان اول من سقطت عليه المفاجاة هو الوفد الفلسطينى المفاوض نفسه الذى فوجىء بهذا المشروع فى الورقة التى سلمتها منظمة التحرير الفلسطينية لوارن كريستوفر وزير خارجية الولايات المتحدة اثناء جولته الاخيرة فى المنطقة وقد تضمنت هذه الورقة مشروع "غزة- اريحا اولا" مما دعا ثلاثة من اعضاء الوفد تقديم استقالتهم واعتراضهم على ان يقوموا بدور ساعى البريد فقط.

وعلى الجانب العربى اعربت كل من سوريا والاردن ولبنان عن دهشتها من مفاجاة هذا المشروع واعترافهم جميعا ان المنظمة لم تتشاور مع اى منهم اثناء الاعداد السرى له، بل ان لبنان وعلى لسان الرئيس الياس الهراوى ووزير الخارجية فارس بويز كانت اكثر الاطراف العربية التى استنكرت فجائية المشروع.

قراءة أولية للمشروع

وبعيدا عن مشاعر الامل والاحباط وغيرها من المشاعر التى تجتاح الشارع العربى ومن خلال قراءة اولية ومبدئية لبنود الاتفاق يمكن استنتاج ما يلى:

اولا: ان اتفاق غزة- اريحا اولا هو اتفاق تاريخى ومحورى يدخل بالمنطقة العربية منعطفا سياسيا واقتصاديا جديدا، ولا تعنى التاريخية هنا الايجابية المطلقة ولكنها تعنى ان الاتفاق سيكون له تداعيات كثيرة وخطيرة على مستقبل وامن المنطقة سواء بالايجاب او السلب.

ثانيا: يقع الاتفاق فى ٢٢ بندا تمت صياغتها بصورة محكمة ودلالات تحمل اكثر من تفسير منها ما يجنح للتفاؤل ومنها ما ينذر بالتشاؤم وذلك حسب نوعية ونتيجة هذه التفسيرات المختلفة.

ثالثا: بالنظر الى عنوان واسم المشروع نجده "غزة- اريحا اولا" اى ان هناك ثانيا وثالثا.. الخ حتى نصل الى اخيرا.

رابعا: ينص الاتفاق على اجراء انتخابات ضمن فترة لا تتعدى ٩ اشهر بعد دخول للبادىء حيز التنفيذ وسوف يدخل هذا الاعلان حيز التنفيذ بعد شهر من توقيعه وتهدف الانتخابات الى تشكيل السلطة الفلسطينية الانتقالية وهى "المجلس" فى غزة والضفة الغربية.

خامسا: تكون مهمة السلطة الانتقالية اى المجلس بعد انتخابه لمدة ٥ سنوات فقط بعدها يكون الحل النهائى القائم على قرارى مجلس الامن الدولى ٢٤٢ و ٣٣٨ وذلك طبقا للبند الاول من الاتفاق معنى ذلك وحسب التفسير العربى لهذين القرارين هو تحقيق الحقوق المشروعة والشرعية والعادلة للشعب الفلسطينى وهذا ما نصت عليه ايضا الفقرة الثالثة من البند الاول صحيح ان الاتفاق لم يذكر صراحة الدولة الفلسطينية او حق تقرير المصير لكن هذه القرارات الدولية التى سند عليها المشروع تنص على ذلك اضافة الى اعتراف المشروع نفسه فى الفقرة السابقة ذكرها على "الاعتراف بالحقوق الشرعية والمطالب العادلة للشعب الفسطينى."

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

سادسا: حظي الجانب الاقتصادى فى المشروع باهمية كبيرة حيث نصت الفقرة الثانية من البند السادس على "ترويج التطوير الاقتصادى لقطاع غزة ومنطقة اريحا" ونصت الفقرة الرابعة من نفس البند على "من اجل مساعدة المجلس على تشجيع النمو الاقتصادى حال انشائه سيشكل المجلس ضمن امور اخرى سلطة كهرباء فلسطينية، سلطة ميناء بحرى فى غزة، بنك تنمية فلسطينى هيئة تشجيع صادرات فلسطينية وسلطة اراض فلسطينية وسلطة ادارة مياه فلسطينية واى سلطات يتفق عليها وفقا للاتفاقية الانتقالية التى ستحدد صلاحيتها ومسؤوليتها" كما نص البند الحادى عشر كله على التعاون الاقتصادى بين الجانبين حيث نص على "اعتراف بالمنفعة المتبادلة للتعاون بتشجيع تطوير الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل وفور دخول اعلان المبادىء هذا حيز التنفيذ سيتم تشكيل لجنة تعاون اقتصادية فلسطينية اسرائيلية من اجل تطوير وتطبيق - ضمن روح تعاونية - البرامج المشار اليها فى البروتوكولات المرفقة كالملحق الثالث والملحق الرابع."

وفى طرح اوسع لهذا التعاون الاقتصادى البند السادس على ان "ينظر الطرفان الى مجموعات عمل المحادثات المتعددة الاطراف كادارة ملائمة لترويج (خطة مارشال) برامج اقليمية وبرامج اخرى تشتمل على برامج خاصة للضفة الغربية وقطاع غزة كما هو مشار اليه فى البروتوكول المرفق كالملحق رقم اربعة."

سابعا: لم ينص المشروع صراحة على عودة القدس للسيادة الفلسطينية وتلك اكبر ما يأخذ على المشروع من طرف المعارضين ولكن الاتفاق نص على ان امر مفاوضات الوضع النهائى ستنطلق فى اقرب وقت ممكن على الا يتعدى ذلك بداية السنة الثالثة للفترة الانتقالية بين حكومة اسرائيل وممثلى الشعب الفلسطينى "اى المجلس" وذلك حسب الفقرة الثانية من البند الخامس واعترف المشروع فى الفقرة الثالثة النهائية ستعطى قضايا متبقية تشمل القدس واللاجئين والمستوطنات والترتيبات الامنية والحدود والعلاقات والتعاون مع جيران اخرين وقضايا اخرى ذات اهمية مشتركة. ومعنى ذلك ان القدس وبقية القضايا الخلافية الكبرى سيبدأ التفاوض عليها بعد سنتين من بداية الفترة الانتقالية وهذا نفسه ما جاء فى مبادىء مدريد والتى وافقت عليها معظم الفصائل الفلسطينية وجميع الاطراف العربية وهى ان هناك فترة انتقالية ثم بعدها مفاوضات للحل النهائى.

المستقبل

وفى النهاية يمكن رصد بعض النقاط الهامة بل والخطيرة على الصورة فى المستقبل بعد اقرار هذا المشروع وهى:

اولا: لا داعى للطعن فى سرية المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية خاصة من بعض الجوانب العربية لانه ومن المعروف للجميع ان كل الاطراف العربية ذات الصلة تفاوضت مع اسرائيل سرا وبعيدا عن شعوبها وذلك من اول نكبة فلسطينية وحتى الان وكانت المفاوضات السرية هذه على اعلى المستويات القيادية!!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ثانيا: ان انقسام الشارع العربى والشارع الفلسطينى لا يجب باى حال من الاحوال ان يتعدى الاختلاف فى الراى والمناقشة الى ما هو ابعد من ذلك من حروب ومعارك دموية بين ابناء الشعب الواحد والامة الواحدة فمن المستحيل ان تنتهى حروبنا مع اسرائيل لتبدأ حروبنا مع انفسنا واى جهة لو فصيل يشارك او تسبب فى ذلك فلن يرحمه التاريخ الفلسطينى ابدا.

ثالثا: ان النظام العراقى هو اخر من يتحدث عن رفضه للمشاريع السلمية فى المنطقة فهو اصلا نظام غير معترف به لا من شعبه او من الشعوب العربية واذا كان هناك فرضا تنازلات فى اتفاق غزة اريحا اولا فهذا النظام هو اول اسباب هذا التنازل بما اقدم عليه من تشتيت للامة العربية وتبديد لمقدراتها الاقتصادية والعسكرية.

رابعا: ان الامة العربية والشعب الفلسطينى هما احوج ما يكونان فى هذا الوقت الى الاتفاق والوحدة وعدم التناصر لان الجميع مقبل على منعطف خطير سيرسم ملامح وشكل المنطقة بصورة جذرية اما سلبية او ايجابية هذه الملامح فسوف يحددها الموقف الفلسطينى والعربى.

خامسا: على الجميع ان يتذكروا التشتيت العربى بعد زيارة السادات لتل ابيب وما اعقبه ذلك من مشاكل ومآس كثيرة اهمها تقلص المطالب العربية الى ربع ما كان معروضا فى وقت من الاوقات. فلا بد من الاستفادة بالتجربة السابقة بل ومن السوابق التاريخية الكثيرة التى تثبت ان الرفض العربى والتمزق العربى ليسا لهما نتيجة سوى ضياع الحق العربى وضياع

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية